عدّاس

بسم الله الرحمن الرحيم. أسلمت لرب العالمين

عدّاس

(مقدمة)

كيف يكون أشهر الناس لا يذكر ولا يترجم له بترجمة وافية؟ هذا هو حال عداس. لا يوجد كتاب في السيرة النبوية إلا وفيه عداس، ولا يوجد برنامج يقص السيرة النبوية إلا ويذكر عداس. ولكن من هو عداس، وما حقيقته، فهذا ما لا نسمع له ذكراً إلا قليلا.

وبما أني تربطني علاقة قوية مع عداس، إذ هو جدّنا الأول، فإني شعرت بضرورة البحث في أمره، ولقد عجبت لقلة ما قيل فيه مع عظم شأنه ظاهراً كما سنرى إن شاء الله.

لماذا تقرأ هذا الكتاب؟ إن فيه الكثير من الخير إن شاء الله، ولعله سينكشف لنا في ثنايا البحث ما ينفع الناس. وليس هو بالكتاب الطويل، وفي كل كتاب نفع، والمعرفة خير من عدم المعرفة.

وسنعتمد في هذا البحث بشكل أساسي على كتاب (السيرة الحلبية) إذ إنه قد جمع تحت كل باب ما قيل حوله، وما جاء فيه، وهو من أهم وآخر كتب السيرة الجامعة، ولذلك قررنا اعتماده أصلاً، إذ البحث هذا تاريخي في المقام الأول، لأن معرفته شخصية ماضية لم تترك أثراً من كتاب وغيره هي مرهونة بالروايات والمحدثين. وهو تحت باب (ذكر خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف).

وبما أنه ليس في مصلحة أحد أن يكذب في عداس، أو قد يكون ثمة مصلحة كما سنرى إن شاء الله، فأننا سنعتبر كل ما قيل صحيحاً، وننحو إلى التوفيق بين المرويات ما استطعنا إلى ذلك سبيلا، وأما ما يرده البرهان أو القرآن فلا عبرة فيه.

وسنجعل الكتاب بابين، عداس قبل البعثة وبدايتها، وعداس أثناء النبوة. بسم الله مجريها ومرساها إن ربي لغفور رحيم.

...-...

{ ١ عداس قبل البعثة }

(روايات)

١- قال صاحب السيرة الحلبية "وقد تقدم في بعض الروايات أن خديجة رضي الله تعالى عنها قبل أن تذهب بالنبي صلى الله عليه وسلم لورقة بن نوفل، ذهبت به إلى عداس، وكان نصرانياً من أهل نينوى"

٢- وهذه هي الرواية التي نذكرها كما هي ثم نحلل الأمور "قال: وفي بعض الروايات أن خديجة قبل أن تذهب به إلى ورقة بن نوفل ذهبت به إلى عداس وكان نصرانياً من أهل نينوى، قرية سيدنا يونس عليه الصلاة والسلام، فقالت له "يا عداس أذكرك الله إلا ما أخبرتني هل عندكم علم من جبريل...فقال عداس "قدوس، قدوس، ما شأن جبريل يذكر بهذه الأرض التي أهلها أهل أوثان...فقالت "أخبرني بعلمك فيه؟" قال "هو أمين الله بينه وبين النبيين، وهو صاحب موسى وعيسى".

٣- ويقول "رأيت أن عداساً المذكور هنا كان راهباً، وكان شيخاً كبير السن، وقد وقع حاجباه على عينيه من الكبر، وأن خديجة قالت له "أنعم صباحاً يا عداس" فقال "كأن هذا الكلام كلام خديجة سيدة نساء قريش" قالت "أجل" قال "ادني مني فقد ثقل سمعي" فدنت منه..."

٤- ويقول "ففي كلام ابن دحية: عداس كان غلاماً لعقبة بن ربيعة، من أهل نينوى، عنده علم من الكتاب".

٥- ويقول "وفي رواية أن عداساً هذا قال لها "يا خديجة إن الشيطان ربما عرض للعبد فأراه أموراً، فخذي كتابي هذا فانطلقي به إلى صاحبك فإن كان مجنوناً فإنه سيذهب عنه، وإن كان من الله فلن يضره"، فانطلقت بالكتاب معها، فلما دخلت منزلها إذا هي برسول الله صلى الله عليه وسلم مع جبريل يقرئه هذه الآيات "ن والقلم.." فلما سمعت خديجة قراءته اهتزت فرحاً، ثم قالت للنبي صلى الله عليه وسلم "فداك أبي وأمي، امضِ معي إلى عداس"، فلما رآه عداس، كشف عن ظهره فاذا خاتم النبوة يلوح بين كتفيه، فلما نظر عداس إليه خر ساجداً يقول "قدوس قدوس، أنت والله النبي الذي بشر بك موسى وعيسى".

(التحليل)

١- عداس قبل البعثة هو شيخ كبير السن حتى إنه ثقل سمعه، وأنه غلام لعتبة بن ربيعة، من أهل نينوى، وعنده علم من الكتاب. وفي نفس الوقت نجد عداس في الطائف سنة ١٠ من النبوة، يخدم

في حديقة أو بستان. وهذا يعني أن عمره كان قد زاد على السبعين أو الثمانين. فإما أن أحد قد اختلق أموراً، وإما أنه يوجد أكثر من عداس واحد.

ويصعب جداً أن نجد عداس من نينوى عنده علم من الكتاب وغلام لعتبة بن ربيعة، ونجد آخر بنفس الاسم والموطن الأصلي والعلم والمهنة، والمصادفة تمنع وقوع مثل كل هذا التشابه.

وإذا علمنا أن قريش كانوا يتهمون محمد أنه كان يتعلم من عداس، وهو الذي يقال أن القرآن نزل ليرد عليهم بأنه ليس يعلمه بشر (إضافة وقت النسخ: ذكر هذا الأمر الفخر الرازي في تفسيره الكبير في ذيل الآية ١٠٣ من سورة النحل "إنما يعلمه بشر" وعبارة الرازي "واختلفوا في هذا البشر الذي نسب المشركون النبي صلى الله عليه وسلم إلى التعلم منه...وقيل عداس غلام عتبة بن ربيعة".) [ومعلوم أن] وجود هذا الاتهام يدل على أن محمد كان يجالس عداس مرات ومرات، فلا يمكن أن يتهمون أنه يتعلم من بشر لم يجلس إليه أبداً أو مرة أو مرتين.

ومن هنا نجد المبرر الذي دفع الناس إلى إخفاء شأن عداس، والخلط في رواية شؤونه، حتى إنه من العجيب أنه كان شيخاً قبل البعثة وصار غلاماً بعدها ! وأنه كان الملجأ الأول لخديجة قبل ورقة بن نوفل نسيبها ومع ذلك فهو عجوز خرف لا يكاد يسمع ! هل تؤثر الزوجة الفاضلة العاقلة رجلاً غريباً من بلدة غريبة على قريبها، وهذا الغريب عجوز خرف لا يكاد يسمع ؟

(إضافة وقت النسخ: تنبّه إلى أن الآية تقول "لسان الذي يلحدون إليه أعجمي"، ومن النظر في العبارات المنسوبة إلى عداس يظهر أنه عربي فصيح ولسانه عظيم في عربيته ودقّته معاً.)

ولعل الذي دفعهم إلى جعله شديد الضعف هو حتى لا يقال أنه كان يعلّم محمد، ظناً منهم أن الأنبياء لا يطلبون العلم، بل ينامون ويصحون فإذا جبريل ينقر أجراس الوحي في قلوبهم.

نحن نعلم أن ورقة بن نوفر قريب خديجة، وأنه كان عالماً كبيراً في التوراة والإنجيل. هذا يعلمه كل الناس يقيناً، مسلمهم وغير مسلمهم. ونعلم من هذه الروايات أن خديجة لم تذهب إليه مباشرة. ونعلم يقيناً أن الانسان يختار الأفضل، أفضل ما في إمكانه أن يختاره. فاذاً لولا أن عداس أحسن من ورقة لما آثرت خديجة أن تذهب إليه أولاً. فلورقة القرابة والمعرفة، وعداس لا قرابة له وله معرفة. فإن تساوت معرفة عداس مع ورقة كان الفضل لورقة لنسبه. ولو كانت معرفة عداس أقل من ورقة لكان الفضل أعظم لورقة لنسبه وعلمه. فلما آثرت خديجة عداس دلّ ذلك على أنه على درجة من العلم ما جعلها تنسى القرابة وورقة كله. ولو كانت خديجة تعلم أحسن من عداس لذهبت إليه وزوجها في هذا الوضع الحرج. *فإذن عداس أعلم الناس بأمر الله في دائرة خديجة ومحمد وقريش، أو هكذا تعتقد خديجة.

هل كان عداس حقاً عجوزاً ثقيل السمع أثناء الأحداث هذه؟ يقول عداس لما قالت له خديجة "أنعم صباحاً يا عداس" قال "كأن هذا الكلام كلام خديجة سيدة نساء قريش" فهذا رجل يميز بنبرة الصوت، حتى إنه يعرف صاحب هذه النبرة، كيف يستقيم هذا مع قوله بعدها "ادني مني فقد ثقل سمعي" ؟ هل يمكن لأحد أن يكون له من دقة السمع ما يجعله يميز نبرة الصوت لمن وفي نفس الوقت تكون أذنه من الضعف ما يجعله لا يسمع إلا عن قرب؟ ولاحظ أنه عرف نبرة خديجة من على بعد، لأنه بعدها قال "ادن مني" فهي إذاً كانت بعيدة عنه، فهذا رجل يميز النبرة من بعيد. ومع ذلك لا يستطيع أن يسمع الكلام الطبيعي؟ ظاهر أن هذا اختلاق، سببه الغاية التي ذكرناها، وهي جعله عجوزاً خرفاً حتى لا يحتج أحد على محمد أو قل على الدين به.

٢- ما هو دين عداس؟ ظاهر أن عداس كان يعلم اللسان العربي، وهذا بين من كلامه المنقول عنه. ويقولون أنه كان نصرانياً من أهل نينوى. ويوجد تركيز شديد على كونه من نينوى، وهي بلدة في العراق. فهذا يدل على أنه جاء من نينوى إلى مكة والطائف.

ذكر مرتين أن عداس كان يفتتح بقوله "قدوس قدوس"، ومعلوم في كتب الأنبياء أن هذا هو ذكر الملائكة المقربين. وذكر المرء يدل على مقامه. فعداس كان في أرقى المقامات الروحية، فلم يكن تابعاً بمعنى أنه كان كالغنم الذين يتبعون البشر، بل كان من الله مباشرة "قدوس قدوس".

وقوله "وما شأن جبريل يذكر بهذه الأرض التي أهلها أهل أوثان" يدل على أنه كان رافضاً للمجتمع، أي ثائراً نوعاً ما، وكلامه عن جبريل يدل على قرب منه، لأنه من يتجرأ في قلبه على أن يتحدث عن جبريل بهذه الطريقة إلا رجل قريب من أهل البيت، كالرعية تخشى من ذكر الملك، ولكن ابن الملك أو زوجته ينادونه باسمه الأول، ولعلهم يخاصمونه، بل ويشتمونه.

وهو رافض للأوثان، التي هي الادعاء بتجسيم النفس العلية والأمور الروحية بالمادة الجسمية، وهذا يدل على أنه في مقام التجريد العلي، ومن أهل النور المحض، فلا يحتاج إلى الصور ليفهم، وهذا يدل أكثر على أنه في أعلى المقامات كما عرفنا. (إضافة وقت النسخ: ويعزز هذا ذكره "قدوس قدوس" الذي يدل على التقديس والتنزه عن المادة والتجريد الروحي والوجودي.)

وقوله "أنت والله النبي الذي بشّر بك موسى وعيسى" يدل على أنه يؤمن بموسى وبعيسى وباستمرار النبوة بعدهما. ولكن في كلمة "عيسى" إشكال، لأن اسم المسيح اليهودي هو "يسوع"، وبالعبرية "يشوا" ولا يوجد ذكر لعيسى في ما يسمى بالإنجيل، أي الأناجيل الأربعة والرسائل. فإما أنه قال "يسوع" ولكن المسلمين غيروها وجعلوها "عيسى" لتتوافق مع دينهم، أو أنه لم يقل هذا الكلام أصلاً، وإنما وضع على لسانه حتى يُقال أن عداس الذي تزعم قريش أنه يعلم محمد ها هو نفسه يؤمن به، فهل يعقل أن يعلمه أسرار النبوات ثم يؤمن أنه نبي؟ هل يعقل

أن يساعد شخص رجلاً على كذبة ثم يكون هو نفسه من المصدقين بهذه الكذبة. فإذاً يغلب على الظن أن هذه العبارة قد وضعت على لسان عداس.

وجوابه عن تعريف جبريل بأنه "أمين الله بينه وبين النبيين، وهو صاحب موسى وعيسى" دليل جهل بكتب اليهود والأنبياء يتعالى عنه أقل مطلع على شيء منها. إذ موسى كلمه الله "وجهاً لوجه". وعيسى أو يسوع كان مؤيداً بروح القدس، أو هو نفسه الله وكلام الله به، وباقي الأنبياء كانت الرؤيا تأتيهم في المنام غالباً وفي اليقظة أحياناً، كرؤيا حزقيال وغيرها. فجبريل ليس هو الأمين إلا في القرآن. وهو مصطلح قرآني، وهذا يدل على أن هذه المقولة قد وضعت على لسان عداس من واضع غبي لا يحسن الوضع، فإنه يختار أسماء قرآنية ومصطلحات قرآنية وأساليب في التعبير قرآنية وإسلامية ثم ينسبها إلى عرب الجاهلية أو ما قبل البعثة. وهذا هو الوضع الوضيع.

أما مثلا عندما يقول عداس "قدوس قدوس" فهذا دليل على علم ما قبل القرآن، لأن هذا الذكر، بهذه الصيغة والطريقة قد ذكرته كتب الأنبياء اليهود على لسان الملائكة المقربين إذ يقولون "قدوس، قدوس، قدوس، رب الجنود" أو رب الملأ الأعلى. وليس في القرآن "قدوس" بلا ألف ولام. وأما الأحاديث فإنها إما تتأول القرآن، وإما مأخوذة من كتب اليهود ونسبت إلى محمد عليه السلام.

ثم إن جواب عداس المفترش ليس مطابقاً لسؤال خديجة، فإنها قالت "هل عندكم علم من جبريل" تأمل حرف "من"، ولم تقل "هل عندكم علم عن جبريل"، هي سألت من جبريل، وهو أجابها وكأنها قالت عن جبريل، إذ إنه وصف جبريل، ولم يقل "نعم، عندنا علم من جبريل وهو كذا وكذا". فإما أنه خطأ الرواة، وأظنه كذلك، وإما أن هذا العالم المفترض هو جاهل بأبسط الأمور ولو كان هذا لكانت خديجة قد استبدلت الذي هو أدنى بالذي هو خير. (إضافة وقت النسخ: ولعل من معاني "من" ما يفيد ما فهمه عداس من خديجة أي أنها طلبت وصف جبريل).

ويقولون أن عداس كان راهباً، أي منقطع للعبادة، فهل يكون هذا هو سبب عدم معرفتنا لذرية له مشهورة؟ أتراه لم يتزوج على حسب سنة الرهبان؟ (إضافة وقت النسخ: هذا ليس ضرورياً لأن ليس كل الرهبان لا يتزوجون أو ليس كل عباد النصارى لا يتزوجون كما هو معلوم، فكونه بحسب فهم العرب حينها "راهب" لا يعني المخصي أو المنقطع عن النساء بالكلية، ليس بالضرورة.) إن كل من يصل إلى مقام يجعله يقول "قدوس قدوس" فهو في الكمال، أي جمع الشمس والقمر، الذكر والأنثى، فلا يمكن إلا أن يعشق النساء، ولذلك "ما أرسلنا من قبلك من رسول إلا جعلنا لهم أزواجاً وذرية"، فترهب عداس هو ترهب قلبي عرفاني.

ولا يمكن أن يكون عداس نصرانياً، لأن كلمة "نصارى" هي كلمة قرآنية، وإنما يسمى أتباع يسوع اليهودي بالمسيحيين كما هو معلوم، وكلمة نصارى لا علاقة لها بالناصرة التي يقال أن يسوع منها، فأولاً القرآن وهو صاحب المصطلح لم يذكر لا ناصرة ولا يحزنون، وإنما قال "كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين مَن أنصاري إلى الله قالوا نحن أنصار الله" فنصارى هم الذين ناصروا عيسى بن مريم. ثم إن يسوع قد ولد في بيت لحم، ونشأ في الجليل، فلو كان سينسب لبلد لكانت النسبة "لحمي" أو "جليلي"، ولذلك كما في إنجيل يوحنا، لما قال أحد التلاميذ الأوائل لآخر "لقد وجدنا يسوع بن يوسف الجليلي أو الذي من الجليل" فهكذا نسبه إلى الجليل.

فكل هذه المقولات التي تزعم أن عداس قال عن نفسه أنه نصراني باطلة. ولعل من الأسباب التي جعلت المسلمون يضعون على لسانه أو على جبينه أنه نصراني هو لكي يرسخوا في الناس أن عداس كان تابعاً، ولذلك لا يمكن أن يكون منشأً، فهو تابع لدين فكيف ينشيء دين آخر، أو كيف يعلم محمد أمور غير الدين الذي يتبعه وما أشبه، فاذا كان القرآن يرد على دعاوي المسيحيين، وكان عداس مسيحياً بالمعنى المعروف، فاذاً لا يمكن أن يكون عداس من معلمي محمد النبي.

يظهر من ذكر عداس "قدوس قدوس" أنه على اطلاع بكتب اليهود، وأنه عرفاني محض، قد يكون من علماء بني إسرائيل، وهو مجرد ظن. ولكن ما يمكن التيقن منه أنه كان موحداً متجرداً عارفاً ثائراً متفتحاً معلماً.

٣- ما هو كتاب عداس؟ عندما قالت خديجة لعداس أنه كان زوجها يرى أموراً لا يعلمها، قال لها "إن الشيطان ربما عرض للعبد فأراه أموراً، فخذي كتابي هذا فانطلقي به إلى صاحبك، فإن كان مجنوناً فسيذهب عنه، وإن كان من الله فلن يضره".

أولاً، يظهر من المقابلة بين "مجنون" و "من الله" أنه يعني بقوله "من الله" أنه عاقل. فالطرف يدل على الطرف المقابل، وهذا كثير الاستعمال في الكلام والقرآن، كقوله تعالى "إما شاكراً وإما كفوراً".

ثانياً، ما هو الكتاب الذي يذهب الجنون ولا يضر العاقل؟ المقصود هو بالجنون هو انطفاء نور العقل الذي يميز، وفي الأمور الروحية يقال مجنون عن الذي لا يرى إلا الوجود المطلق المحض، فهو لا عقل له لأن العقل يلزم وجود عاقل ومعقول، أي زوجية، فهو من عالم الخلق، الملكوت والآفاق والأنفس. أما العالم الأولى، النفس المتعالية، وحدة الوجود، فلا عقل لأنه وحدة صرفة.

وبذلك يكون معنى "إن كان مجنوناً فسيذهب عنه" أنه لو كان مستغرقاً في الوحدة المحضة فإن كتابي هذا سيقنعه بوجود وتحقق العوالم الأخرى، خاصة الملكوت، وبذلك يرد إليه عقله. ولا عجب في كون محمد قد تعرض لهذا الفناء المحض، حيث أنه كان يتعبد ويتأمل، أو يتأله، في الجبل مدة طويلة، ولم يكن شيء أحب إليه من الخلوة، ومعلوم أن هذه آيتين على أن الرجل إما يتأله في الوجود المحض، وإما يتأمل في الكتب الإلهية ويدرس. وحيث إن على الظاهر لم يكن يدرس الكتب من قبل القرآن "وما كنت تتلو من قبله من كتاب" فإذاً لم يكن يفعل شيئاً غير التأله المحض. وهذا يؤدي إلى قتل كل زوجية، والادعاء بأن العالم الخلقي الزوجي كله باطل. وهذه قاعدة مطردة مع كل من يتأمل، في الماضي والحاضر والمستقبل.

ومعلوم في الروحانية أن العقل هو معرفة الملكوت، لأن الملكوت رمز على العقل التام "ربنا أتمم لنا نورنا" وبذلك يكون كتاب عداس هو كتاب في اثبات العقل والملكوت.

وهذا يدل على أن محمداً كان يقرأ كما لا يخفى. وهذه مجرد إشارة عرضية أحببت أن أنوه إليها.

وقول عداس "وإن كان من الله فلن يضره" الضمير في "يضره" إن كان عائداً على الكتاب فالمعنى أن محمد لو كان يرى أموراً هي رؤى من الله، ومعلوم أن الله يري هذه الأمور كأمثال للمتعبدين، فالكتاب لن يضره لأن الكتاب كما عرفنا يفهم الملكوت، ومن أول سبل تفهم الملكوت الأمثال. وبذلك يكون الكتاب فيه شرح للأمثال وحقيقتها، ومن هنا فإنه "لن يضره" بل سيساعده على الفهم.

وإن كان الضمير في "يضره" عائد على الرؤى التي يراها محمد، بمعنى أن الرؤى لن تضره بعد أن يقرأ ويفهم كتابي هذا، وهذا بعيد لأنه لو كان يقصد الرؤى لقال "تضره" بتاء التأنيث وليس بالمذكر. فإذن يغلب الجواب الأول.

٤-ثبت في كل الروايات أن عداس من نينوى، وهي بلدة في العراق الحديث، فمتى ولماذا تحول عداس عنها وجاء إلى "أرض الأوثان"؟

من رواية الطائف يظهر أن عداس غادر نينوى وهو على الأقل بالغ عاقل مدرك لشؤون الدين والمجتمع، وذلك لأنه قال "فإني والله خرجت منها-نينوى-وما فيها عشرة يعرفون متى" يقصد يونى ابن متى. وتأمل كلمة "خرجت منها" ولم يقل "أخرجت منها" فهو قد خرج بإرادته. وقوله "وما فيها عشرة يعرفون ما متى" يدل على كونه كان هو نفسه يعلم شأن النبي يونس، وأنه كان على اطلاع على أحوال الناس فيها، حتى أنه يعرف تقريباً كم عدد العارفين والجاهلين. وأيضاً

يدل ذلك على أنه خرج منها لسوء حال أهلها وجهلهم، لأنه ربط بين خروجه وجهل قومه، فيدل ذلك على وجود رابطة ولو لاشعورية بين الأمرين.

فلا نستطيع أن نعرف عمره تماماً لأنه لا يوجد ذكر للأعمار في الروايات، وحتى مجرد التقدير صعب، إذ لعله كان عبقرياً منذ صغره ومحباً للدين وعاملاً للإصلاح، وبذلكيكون خروجه لا يلزم كونه كبيراً. ولكن مجرد قوله "خرجت" يشير إلى أنه كان في سن الشباب.

فإن صح قولنا أنه خرج باختياره وبسبب جعل قومه، فلماذا توجه إلى مكة حيث عبادة الأوثان؟ لا يمكن أن نقول إلا أنه ذهب للإصلاح. ويؤيد هذا كونه يعلّم الناس، وهو مرجع "خديجة سيدة نساء قريش" فإن كان مرجع هذه السيدة فمن باب أولى غيرها ممن هو دونها، وهو يؤلف الكتب أيضاً، كهذا الكتاب الذي أرسله إلى محمد.

ولكن لماذا لم يجلس في بلدته الأصلية نينوى، ويصلح هؤلاء، أليس ذلك أولى من السفر إلى الصحراء والسكن وسط عباد الأوثان؟ لا أرى جواباً لهذا إلا أنه كان يرجوا أمراً ما من ذهابه إلى مكة. فهل يمكن أن يكون هذا الأمر هو انتظاره للنبي المنتظر؟ لعل قوله في بعض الروايات عن محمد "أنت النبي الذي بشّر بك موسى وعيسى" إشارة إلى هذا الأمر واضحة.

ومعلوم أن التوراة تقول على لسان الله لموسى "سأقيم لهم نبياً من إخوتهم، مثلك". ومعلوم كما في إنجيل يوحنا أن اليهود كانوا ينتظرون ثلاثة أشخاص، النبي، وإيليا، والمسيح، ولذلك سألوا يوحنا المعمدان ثلاثة أسئلة متفرقة ومتتالية "أنت النبي؟" فأنكر، "أنت إليا" فأنكر، "أنت المسيح" فأنكر. ويحلو للبعض أن يجعلوا النبي والمسيح في شخص واحد هو يسوع الناصري أو الجليلي. وما هذا إلا تحكم وعبث في الكلام. ظاهر أنهم بثلاثة أسئلة اثبتوا وجود ثلاثة أشخاص، فلو كان إيليا شخص، والنبي والمسيح شخص واحد، فالنص كله تافه ليس دقيق الصيغة.

فهل يمكن بناء على أمثال هذه النصوص وغيرها، وبتحليلات ليس هنا محل إيرادها، استنبط عداس أن النبي سيكون من مكة، أو سيظهر على الأقل في هذه المنطقة؟ احتمال قوي تؤيده النصوص والروايات. فنأخذ به. (إضافة وقت النسخ: نجد عداس مرة في مكة ومرة في الطائف، والنبي ولد في المكة وقد ذهب إلى الطائف أثناء عرضه لنفسه على القبائل. وهذا يعزز أنه كان عند عداس نوع من العلم بأن النبي سيكون في مكة وفي الطائف، ولاحظ أنه لولا وجود عداس في الطائف لكانت سفرة النبي إلى الطائف عذاب محض، فكان عداس رحمة من الله للنبي ومبرراً كافياً له للسفر إلى الطائف وفوز.)

وبناء على ذلك يقوى احتمال كون عداس شاباً عارفاً عندما اختار الخروج من نينوى إلى صحراء الجزيرة، وتكون الغاية التي وضعها نصب عينيه هي تعليم الناس الملكوت، وانتظار النبي الإلهي.

وبذلك نختم الباب الأول عن عداس قبل البعثة النبوية.

...-...

{ ٢ عداس أثناء النبوة }

(روايات)

١- قال صاحب السيرة الحلبية "فلما رأياه وما لقي تحركت له رحمهما، فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له عداس، معدود في الصحابة، مات قبل الخروج إلى بدر، فقالا "خذ قطفاً من هذا العنب فضعه في هذا الطبق ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه...ففعل عداس، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال له "كل"، فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده الشريفة قال بسم الله ثم أكل..فنظر عداس في وجهه وقال "والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد"

٢- يقول بعد أن عرف عداس أن محمد يعرف نينوى ويونس بن متى "فعند ذلك أكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقبّل رأسه ويديه وقدميه، فقال أحدهما أي عتبة وشيبة للآخر: أما غلامك فقد أفسده عليك. فلما جاءه عداس قال له أحدهما: ويلك مالك تقبلك رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال "يا سيدي ما في الأرض شيء خير من ذا، لقد أعلمني بأمر لا يعلمه إلا نبي"، قال "ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك".

٣- وفي رواية أخرى قال عداس مبرراً فعله في محمد "هذا رجل صالح أخبرني بشيء عرفته من شأن رسول بعثه الله إلينا يدعى يونس بن متى".

...

(التحليل)

١- معلوم أن كل تحريف يقع في وصف واقعة لا يكون بنفيها كلياً، وإنما تغيير ملامح هذه الواقعة، لأن نفي كل الواقعة دليل واضح على كذب الواصف. والأمر المستيقن هنا أن محمد ذهب إلى الطائف والتقى بعداس، وجالسه وكلمه في شؤون الله ودينه، أما التفاصيل المذكورة في الروايات فواضح فيها أثر الكذب الرخيص، وسنرى ذلك إن شاء الله.

٢- وصف صاحب السيرة عداس بأنه "غلام" وقد رددنا على هذا فيما سبق، ونزيد الأمر هنا بحسب المقام. فهو يقول أن عداس "مات قبل الخروج إلى بدر" من أين عرفوا هذا؟ لاشك أن عداس كان معروفاً إذاً بين الناس. وإلا ما يهم الناس أن يطلعوا على أحوال غلام في الطائف وهم مشغولون مهمومون في شؤون الهجرة وتكوين مجتمع المدينة وأمر المنافقين؟

ومعلوم أن خروج النبي إلى الطائف كان بعد وفاة أبو طالب بقليل أو كثير، فالمستيقن أنها كانت بعد السنة العاشرة من بعثته، ومعركة بدر كانت بعد سنوات قليلة جداً من ذلك، فلو صح ما يرويه صاحب السيرة أن عداس "مات قبل الخروج إلى بدر" وفرضنا أنه "غلام" تعني أنه ما بين ١٥-٢٥ سنة على أبعد تقدير، ومع العلم أنه لم يقل عن عداس أنه قتل، ولكن "مات" أي ميتة طبيعية، فكان معنى ذلك أن عداس مات وهو في نحو الثلاثين من عمره، وهذا مستبعد. وهذا مع المبالغة التي نفترضها في عمره أثناء اللقاء بينه وبين النبي، فإذا تحفظنا وقلنا أنه كان في الخامسة عشرة من عمره على حسب قول الراوي أنه "غلام" كان المعنى أنه "مات" ميتة طبيعية وهو في نحو العشرين، وهو أشد بعداً. ومن هنا نستيقن أن وصفه بأنه "غلام" وضع لكي يرفع احتمال ذهاب النبي إليه للتعلم وما شابه. (إضافة وقت النسخ: هذا على اعتبار أن "غلام" متعلقة بالعمر. لكن يوجد احتمال آخر أن المقصود بها غلام أي عبد، ويظهر هذا من قوله لعتبة "يا سيدي"، وحينها تبطل الحاجة للتحليل السابق.)

٣- يقولون أن سبب "إسلام" عداس هو أن محمد عرف أن يونس بن متى رسول من نينوى. وهنا يظهر أن واضع هذا الكلام قد هجم عليه الغباء من كل جانب. وأي معجزة في معرفة وجود يونس بن متى من نينوى؟ أي صبي من اليهود والنصارى أو حتى أي من له أدنى اطلاع على كتب اليهود المقدسة يستطيع أن يعرف ذلك، فهل معرفة يونس من نينوى تجعل الإنسان يسجد ويقبّل رأس ويد وقدم إنسان؟

ولا يخفى على أهل القرآن أن كلمة "متى" ليست من القرآن، فهي إن كان لها أصل فهو كتب اليهود، ومعلوم أن النبي لا يجاوز كتاب الله الذي آتاه الله إياه، فمن أين عرف أن اسم والد أو والدة يونس هو "متى"؟ إن قلنا من اليهود كان المعنى أن محمد تعلم من اليهود، بل وراح يفاخر بهذا العلم ويتعالى على الغلمان به. وكذلك القول في "نينوى".

لعل هذا الفشل الذي يغشى الكذبة من الرواة هو بذنب سوء نيتهم وفساد قلوبهم. إذ لو كان فيهم عقل لوضعوا كذباً أقوى من هذا. ويحزنني أن أقرأ تقبل الناس لهذه الروايات الواهية ظاهراً وباطناً لا يدل على ذكاء فيهم.

ومن متى يترك الرجل دينه من أجل رجل عرف أن فلاناً من بلدة كذا؟ وكأن هذا العلم من الكبريت الأحمر، إن سِفر يونس في كتب اليهود لا يجاوز بضع صفحات لا تزيد على أربعة في أطول الأحوال، فماذا لو عرف عداس أن محمد يعرف أشعيا أو حزقياً؟ لعله كان سيرى أن محمد هو الله نفسه.

إن أردنا أن نحسن الظن بعقل واضع هذا الكلام نقول أنه وضع هذا ليبين أن عداس كان شبه غبي وسطحي. ولاشك أن هذا يخدم غرضه تماماً، إذ هل يمكن لسفيه أن يعلم محمد أحسن فقيه؟

ولزيادة الوضوح تأمل كلمة عداس هذه عن الحوار الذي دار بينه وبين محمد. يقول "لقد أعلمني أمراً لا يعلمه إلا نبي"، يا سبحان الله، هل كل من عرف أن يونس بن متى من نينوى هو نبي؟ وتأمل قوله عن النبي "ما في الأرض شيء خير من هذا"، هل مجرد معرفة أن يونس بن متى من نينوى تجعل الانسان خير من على الأرض جزماً باتاً ؟! حتى إنه لم يقل "ما في الأرض أحد أو إنسان هذا من هذا" بل قال "ما في الأرض شيء خير من هذا" فبعد جلوسه مع النبي استنتج أنه خير الناس والأشياء. فهل يتأتى هذا من معرفة أمر لا يخفى على صبي من القراء؟

ووصف شيبة وربيعة لمحمد بقولهم "إنه رجل خدا ع" يخالف الذي نعرفه من وصف الناس له بأنه الصادق الأمين. إن عقلي يكاد ينفجر من محاولة معرفة أي قيمة لهذه المعلومة "يونس بن متى من نينوى رسول بعثه الله إليها". أي عظمة، وأي خدا ع، وأي شيء في معلومة يمكن لأي أحد أن يسمعها من هنا أو هناك، لعلها تطايرت إلى سمع محمد وهو في مكة، أو عندما سافر إلى الشام، أو أي شيء.فلماذا كل هذا التشديد على شيء لا قيمة له؟

لقد وقع حوار بين عداس والنبي ولكن تفاصيله المذكورة في الروايات لا قيمة لها. وآثار هذه المحاورة لعلها هي التي جعلت عداس يقول أنه ما يعلم ما قال محمد إلا نبي، وأنه خير شيء على الأرض كلها.

٤- يتعجب الذين لا حظ لهم في القرآن من قولنا أن النبي ذهب إلى الطائف ليلقى عداس ويتعلم منه، وليتهم تذكروا القصة التي يرددونها كالببغاء كل جمعة عن موسى كليم الله الذي سافر ليتعلم من العبد الصالح. وكان موسى قد صار نبياً وليس قبل النبوة، لقول العبد الصالح له "وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا" فعلم موسى كان مستند إلى الاخبار، أما العبد الصالح فعلى الاعتبار، وصاحب الاخبار بحاجة إلى صاحب الاعتبار، أما صاحب الاعتبار ففي غنى عن صاحب الاخبار. "هذا فراق بيني وبينك".

فإن كان موسى كليم الله سافر ليتعلم من العبد الصالح، فلماذا لا يفهم هؤلاء تأويل هذه القصة ومصداقها في محمد رسول الله الذي سافر ليتعلم من عداس؟ والخلاف حول كون زيد بن حارثة خرج إلى الطائف مع النبي أم لا تحله آية واحدة "قال لفتاه"، ففتى موسى كان معه حتى وصل إلى العبد الصالح ثم لا يذكر القرآن عنه شيء. وكأنه اختفى. ومعنى هذا أنه لم يصاحب موسى والعبد الصالح أثناء التعلم، لقول الله "فانطلقا" وليس "فانطلقوا". فاذاً زيد خرج مع محمد إلى

الطاف، ولكن لما دخل محمد إلى عداس ليتعلم منه لم يكن معهما، ولذلك لم تروى الواقعة كلها بالتفصيل وما دار حول وفي هذا المجمع المبارك. وظاهر أن من فهم من تعاليم العبد الصالح لموسى يكون قد فهم تعليم عداس لمحمد.

يوجد فرق بين تنزيل كلمات القرآن، وبين فهم هذه الكلمات. محمد لا يحتاج إلى أحد من البشر في الأولى، فالتنزيل كله من الله، ولكن فهم تعاليم الله قد يحتاج، بل يحتاج النبي فيه إلى نبي تفهيمي، ولذلك قال للنبي "فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك". هل يمكن أن يشك النبي في تنزيل القرآن؟ لو كان هو يشك فمَن لا يشك؟ كلا، المعنى هو الشك في معاني الكتاب، وهذا يقع من كل أحد بلا استثناء. وهذا هو الفرق بين نبوة التعليم ونبوة التفهيم. نبوة التعليم لظاهر الكتاب، ونبوة التفهيم لباطن الكتاب. نبوة التعليم تقول "بسم الله الرحمن الرحيم" ونبوة التفهيم تشرح ما معنى "بسم الله الرحمن الرحيم".

فموسى من أنبياء التعليم في الأصل والعبد الصالح من أنبياء التفهيم، وكذلك محمد من أنبياء التعليم في الأصل وعداس من أنبياء التفهيم. نبوة التعليم ختمت بالقرآن، ونبوة التفهيم لا تختم إلا بانطفاء نور اله، ونور الله لا ينطفىء. والحمد لله رب العالمين.

....انتهى والحمد لله.